في افتتاح المؤتمر الدولي الأول للوسطية في لبنان

طرابلس 11-4-2008

الوسطية طريق بين العدا للدين واستغلاله

قبل أي شيء اود ان اعرب عن سعادتني للمشاركة في هذا اللقاء الذي يحمل اسم " الوسطية " بدعوة من الاستاذ نجيب ميقاتي الذي يعتبر رمزا للوسطية في هذا البلد . اثبتت التجارب انه اذا كانت الوسطية ضرورة في كل مسائل الانسانية الحياتية ، الا انها في مجالي الدين والسياسة ، لا تعتبر الوسطية امرا يجب توفره ، بل ضرورة وحاجة انسانية . وعندما يدور الحديث عن الوسطية ، فمن الطبيعي التوقف عند بعدي هذه الوسطية .

من جهة الافراط في مجال الدين ، والعداء للدين الذي ينتشر على الصعيد العالمي ، طبعا ما اقصد من العدا للدين ليس بالتحديد العلمانية ، واعتقد ان الازمة التي يشهدها العالم اليوم هو الاغراق في الدين لدى قادة مسؤولين كبارا في العالم ، بل ان ما اقصد في هذا البحث ، هو المواجهة الممزوجة بالاهانة التي تحدث في الغرب مع الاسلام ، والاسلاموفوبيا نتيجة لها . هذه المواجهة مع الدين لها جذور تاريخية ، او لمواجهة العنف الديني او بسبب الالتزام المتطرف بالدين الذي يعتبر المؤمنين بالاديان الاخرى كفرة ويريد المواجهة والصراع معهم . والمادية واهمال القيم المعنوية كانت ايضا سببا في ازيمات كثيرة وصورة اخرى للعداء مع الدين .

من ناحية اخرى فان استغلال الدين يقع في الجهة المقابلة لموجة العدا للدين هذه . والحقيقة هو ان الدين في عالم اليوم هو جوهر ثمين ، لانه اذا لم يكن ثمينا وميولا واسعة باتجاهه ، لما بذلت كل هذه الجهود الكبيرة من اجل استغلاله او توظيفه ، من هنا

فان الدين كغيره من مصادر القوة الاخرى في العالم ، وجد متصدين له ، وهؤلاء المتصدين يسعون للاستفادة من هذا البعد خدمة لاهدافهم وليس خدمة لاهداف الذين جاؤوا بهذه الاديان . هذا الواقع الاليم يحدث للأسف في كل الاديان ، ويمتلك في الوسط الاسلامي قوة وقدرة اكبر . قطعا ان اعمال العنف التي تحدث باسم الاسلام ، لا يمكن ان تمت بصلة لهذا الدين الالهي . الله او الاله الذي خلق كل البشر على صورة واحدة وشجعهم على السلام والمحبة والصدقة وعرف الاسلام بانه دين وسط . الا ان المستغلين حتما شاهدوا وادركوا مجالاته فعمدوا الى نشر العنف . وللأسف فان ارضية قبول شعارات العنف الديني في الدول الاسلامية تشكلت عن طريق سياسات القوى الكبرى وخصوصا اسرائيل وامريكا في العالم . هذا ما يقوله التاريخ بانهم من بدأ باستغلال الدين وان الارهابيين الاسلاميين ترعرعوا قبل كل شي في ظل حمايتهم . واذا لم يكونوا هم من بدأ باستغلال الدين ، لما كان من الممكن ان تنمو قدرة الارهابيين الاسلاميين .

في حرب افغانستان ، عندما رغب الامريكيون وحلفائهم في المنطق الاستفادة من عنصر الدين لتوجيه ضربة الى عدوهم السياسي الكبير في تلك الايام ، أي الاتحاد السوفياتي ، عندها ولأول مرة انشر مصطلح " مجاهد " في وسائل الاعلام الامريكي وحلفائه الاقليميين وتحول الى قيمة دينية . وكانت المجتمعات الاسلامية عامة تنظر الى كلمة جهاد ومجاهد على انها ذات جذور تاريخية وتعود الى مرحلة الرسول . لكن وسائل الاعلام الغربية وحلفائها ساهموا وقبل غيرهم في عصرنة مفهوم الجهاد . طبعا القاعدة هي ان القوى الكبرى بإمكانها ان تكون البادئة في الاستفادة من الدين على هذا النحو ، لكن يجب ان نعلم ان نهاية هذا الاسلوب ليس في يد من بدأه . ان الفاجعة المرة والمعادية للانسانية التي تمثلت في انهيار برجي التجارة الامريكيين على يد المجاهدين الذين تربوا برعاية امريكية ، هو مثال على هذه المشاكل والازمات الناجمة عن استغلال الدين .

من ناحية اخرى ، نحن مثقفي العالم الاسلامي عملنا بجهد لارساء الكثير من العقائد المقبولة من الغرب مثل الديموقراطية وحقوق الانسان والحرية والحوار والمساواة و... . فتشنا عن جذورها الدينية وتطابقتها مع معتقدات شعوب المنطقة وبلدنا ، وبعض الاشخاص تحملوا الكثير من العناء والمشاكل من اجل انجاز هذا الهدف . لكن للأسف بقينا عاجزين عن ايجاد جواب سؤال يطرحه الجيل الحالي ، وهو اذا كان الغرب يعتقد بهذه الشعارات ، اذا لماذا تسحب وتلغى عندما تصل هذه القيم الى الحدود الاسرائيلية وتتغاضى عنها القوى الكبرى ، وتوزع البشر الى انسان من الدرجة الاولى واخر من الدرجة الثانية ، تساوي بين دم فرد اسرائيلي ومئات الفلسطينيين وتنتهي كل وسائل السلمية الى طريق مسدود ، وفي ظل هذه الاوضاع ، من الطبيعي ان يفتح المجال امام المتطرفين ودعاة العنف الديني .

في هذه الثنائية المتطرفة العدا للدين واستغلال العنيف للدين ، تبقى الوسطية هي الوحيدة التي يمكنها ان تضع المستقبل المر امام اعين المجتمع البشري . لا شك ان تنافسا وسباقا خطرا بدا بين الغرب والاسلام ، ما سيجعل المستقبل محفوفاً بالمخاطر امام الاسلام والغرب على حد سواء . سابق احد اوجهه اهانة المقدسات الدينية وعدم الاعتراف باحاسيس اكثر من مليار مسلم ، والوجه الاخر التظاهرات والاشتباكات والتهم على السفارات و... .

اذا اخذنا بالاعتبار السيطرة الغربية على وسائل الاعلام العامة ، فان هذا السباق لن يحمل معه مستقبلاً سلمياً . فان الحقد الذي تخلقه هذه الاهانات داخل المجتمع الاسلامي وردود الافعال الطبيعية التي تنتج من ناحية اخرى ، تحمل بعداً خطيراً جداً . خطر يساهم من ناحية في استمرار الذعر من الاسلام ومن ناحية اخرى ذعر من الغرب ، والذعرين يسوقان العالم باتجاه ازمة خطيرة . حروب دينية جديدة كما حدث تاريخياً التي تشكل منشأ كل هذا الحقد . لقد شكل اهانة المقدسات دائماً الشرارة لاشتعال حروب كبيرة تاريخياً . وفي ظل هذه الاوضاع ليس امام الانسانية سبيل سوى العودة الى

الاعتدال والوسطية . ويجب السيطرة على العداء للدين . وعلى الغرب ان يكون اكثر منا قلقا من العداء للدين . ويجب علينا مواجهة استغلال الدين ايضا . وفي الوقت نفسه ان نضع مصلحة الدين والناس في الاولوية وليس مصلحة الذين يقتاتون على الدين او مواجهته . وعلى الدين ان يعتمد الى الوسطية من اجل استمراريته والطريق الوحيد لحل هذه الاشكالية هو الحوار بين مفكرين وعلماء الدين وليس الاشخاص الذي يطلقون الالهانات او يحرصون على العداء ولا يمتون للحوار بصلة . المدعوون للحوار والتحاور هم فقط العلماء .

في ظل هذه الظروف فان واجب المفكرين والعلماء الغربيين والمسلمين ومن اجل انقراض ونجاة العالم هو سحب بساط الانشطة الفكرية من تحت ارجل المعادين للدين والمتطرفين ودعاة العنف الديني لكي تستطيع البشرية الاستفادة من العناصر الايجابية في الدين من اجل الحفاظ على الاخلاق والتسامح او الهدوء الديني ، ويستطيع المتدينون الاستفادة من الانجازات الاخلاقية والسياسية والتكنولوجية للغرب والتفكير بمستقبل زاهر للبشرية في اطار تعاون مشترك .

في النهاية وللأسباب التي ذكرتها ، اكرر شكري للقيمين على هذا اللقاء الذي اختاروا له اسم " الوسطية " ضرورة انسانية معاصرة .

ولبنان كان على مدى التاريخ البلد الوحيد الذي جسد رمز التسامح والعيش المشترك بين كل الاديان ، وأمل ان يعود لبنان مستقبلا الى سابق عهد من الحيوية والديمقراطية بعد حل كل مشاكله التي يعاني منها .